

دراسة روايات واقعة الطف فرع العلم بشأنها...إشارة في هذا الصدد

تمثل قضية الإمام الحسين عليه السلام في وعي ووجدان المنتمين لمدرسة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بل لفطرة [] التي فطر الناس عليها عالما حشد القيم العليا، التي هي ميراث ممثلي السماء (عليهم السلام)، مما يمثل مثل ما أشار إليه شاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري منها في رائعته "آمنت بالحسين" مشتركا تنوق إليه قلوب طالبوا الإصلاح وعقولهم، حيث قال ضمن ما قال فيها:

تَمَّ ثَلَاثُ يَوْمٍ فَفِي خَاطِرِي

وَرَدَّ دُوتُ صَوْتِكَ فِي مَسْمَعِي

وَمَحَّضْتُ أُمُّ رُكَّ لِي أُرْتَهَبُ

بِرِذْقٍ لِي "الرَّوَاةُ" وَلِي أُوْخِدَعُ

وَقُلْتُ: لَعَلَّ دَوِيَّ السَّيْنِ

بِأَصْدَاءِ حَادِثِكَ الْمُفْجِعِ

وَمَآ رَتَّ لِي الْمُخْلِصُونَ الدَّعَاةُ

مِنْ مُرْسَلِينَ وَمِنْ سُجَّعِ

وَمِنْ نَائِرَاتٍ عَلَيْكَ الْمَسَاءِ

وَالْمُفْجِعَ بِالشَّعْرِ وَالْأَدْمُوعِ

للعَلَّ السَّيَاسَةِ فِيمَا جَنَذَتْ

عَلَى لَصَقِ بَرِّكَ أَوْ مُدَّعِي

وتشريدَهَا كُتْلَ مَمْنٍ يَدَّسَلِي

بِحَافِئِ لَهْ لَإِيكَ أَوْ مَقْطَعِ

للعَلَّ لِي ذَاكَ وَكَوْنِ الشَّحِي

وَلُؤْءَالٍ بِكَتْلٍ شَحِجٍ مُوَلِّعِ

يبدأً فِي اصْطِبَاغِ حَدِيثِ الْحُسَيْنِ

بَلُونِ أُرِيْدَ لَهْ مُمْتَدِّعِ

وَكَانَتْ وَلَآمَّا تَزَلُّ بِرَزَّةٍ

يَدُ الْوَاثِقِ الْمُجَا أَلْمَعِي

صَنَاءَالٍ مَتَى مَا تُرْدُ خُطَّةً

وَكَيْفَ وَمَهْمَا تُرْدُ تَصْنَعِ

وَلَمَّا أَزَحَّتْ طِلَاءَ الْقُرُونِ

وَسَتَّرَ الْخَدَاعِ عَنِ الْمَخْدَعِ

أريدُ الحقيقةَ في ذاتِها

بغيرِ الطبَّيعةِ لـم تُطْبَعِ

وجدْتُكَ في صُورَةٍ لـم أُرْعَ

بـأَعْطَـطَـمَ مَنها ولا أُرْوَعِ

ومـاذا! أأُرْوَعُ مَن أنْ يَكُونِ

لَحْمُكَ وَقُفْـلًا عَلى المِصْـعِ

وأنْ تَتَّـقِي دُونَ مـا تَـرُتـِي

مـمـيرَكَ بِالْأُسِّـلِ الشَّـرِّعِ

وأنْ تُطْـعِمَ المـوتَ خـيرَ البـنـينَ

مـنَ الأَكْـهَلِـينَ إـلى الرُّضَّـعِ

وخـيرَ بـنـي الأمِّ مـن هـاشـمِ

وخـيرَ بـنـي الأبِّ مـن تُبِّـعِ

وخـيرَ المـصِّـحَابِ خـيرَ المـدُّورِ

كَـانُـوا وَفَـاءُ كُـوالأذْـرَـعِ

وَقَدْ سَدَّ سَوْتُ ذِكْرِكَ لِمَنْ أَنْتَ حَلُّ

ثِيَابُ التَّسْقِطَةِ وَلِمْ أَدْعَ

تَقَعَّ مَمْتَصِدُ رِي وَرَيْبُ الشَّكُوكِ

يَرْمَضُ جُودُ رَانِهِ الْأَرْبَعُ

وَرَانُ سَحَابُ مَفْرِيقُ الْحَجَابِ

عَلَامِي مَنْ الْقَلَّاقِ الْمُفْزَعِ

وَهَابُ سَوْتِ رِيحِ مَنْ الطَّيِّبَاتِ

وَالطَّيِّبِينَ وَلِمْ يُقْشَعِ

إِذَا مَا تَزَحَّزَحَ عَنِّ مَوْضِعِ

تَأْبَى وَعَادَ إِلَيَّ مَوْضِعِ

وَجَارَ بِي الشَّكُّ فِيمَا مَعَ الْجُدودِ

إِلَيَّ الشَّكُّ فِيمَا مَعِي

إِلَيَّ أَنْ أَقَمْتُ عَلَيْهِ الدَّلِيلَ

مَنْ مَبْدَأُ بَرْدِمْ مُشِيدِ

فَأَسْأَلُكُمْ طَوْعًا أَوْ إِكْرَاهًا ۖ وَإِلَيْكُمْ الْقَوْلُ ۖ

وَأَعْلَوْكُمْ طَائِفًا ۖ إِذْ عَلَزَانُ يَمْشِي فِي الْمُهْطَةِ ۖ

فَنَدَوْنَهُ رُبَّمَا بَطُلًا ۖ مِمَّنْ ۖ فَيَكْذُرُنَا وَيَقْوَسُنَا مَتَّ ۖ مَا اءْوَجَّ ۖ مِنْ أَضْطِرَاعِي

وَأَمَّا نَدَّتْ ۖ إِيْمَانًا ۖ مَن ۖ لَا يَرَى سِوَى الْعَقْلِ فِي الشَّكِّ ۖ مِنْ مَرَجَعٍ ۖ

بِأَنْ ۖ الْإِبْرَاءَ ۖ وَوَحْيِي ۖ السَّامَاءِ ۖ

وَفَافِي ۖ الضَّ ۖ النَّدْبُ ۖ وَوَوَّ ۖ مِمَّنْ ۖ مَن ۖ مَن ۖ مَن ۖ مَن ۖ

تَجَاجَمَ ۖ مَع ۖ فَمِي ۖ جَوْهَرٍ ۖ خَالِصٍ ۖ

تَنَزَّلَ ۖ زَهْرًا ۖ عَن ۖ عَ ۖ رَضَ ۖ الْمَطْمَعِ ۖ

ومن الواضح أن لخلود قضية الإمام الحسين عليه السلام والوهج والتأثير الذي تميزت به عوامل، منها ما رسمه أئمة العترة الطاهرة (صلوات الله عليهم) من نسل إحياء أمره، أو ما صار يعرف بالشعائر الحسينية مما تناوله المحدثون ضمن ما عرف بأبواب "المزار" في موسوعاتهم الحديثية، فمن شأن تلك الشعائر تحريك كل قوى النفس باتجاه تلك القضية: العقل الضمير القلب والجوارح، ما كان لشؤون في القضية بدورها عملها فيه، من أهمها أحداث القضية أو ما عرف بالمقتل الحسيني، التي كان لأئمة الهدى (عليهم السلام) شأن في روايتها ورعايتها، وقد كان منهم (عليهم السلام) من صنف في روايتها الشهود، وأصنافهم كما يلي:

أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، كالإمام زين العابدين والإمام محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) اللذين كانا من شهود واقعة كربلاء، والإمام الصادق (عليه السلام) الذي لم يقتصر دوره كما نقل على رواية أحداثها، بل تجاوز ذلك إلى الإيقاف على مواضع تتعلق بها، فقد ورد أنه صلى ركعتين في الحنّانة، وقال: (هاهنا وضع رأس الحسين عندما أُخذ للكوفة)، واستثمار مشاهد للتذكير بحوادث فيها

وتمثيلها، فقد ورد أنه (عليه السلام) نقل حادثة حرق الخيام عندما تعرضت داره للحرق بفعل عملاء أبي جعفر العباسي، كما نقل أنه (عليه السلام) ذكر بمصاب رضيع جده الحسين (عليه السلام) وقد جاءته جارية بطفل أثناء رثائه في مجلسه الشريف...

شهود عيان كانوا مع الإمام الحسين (عليه السلام)، من أهل بيته كالسيدة العقيلة زينب (عليها السلام)، والسيدة فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام)، والحسن بن الحسن (المثنى) (عليهما السلام) الذي كان قد قاتل إلى جانب عمّه الحسين (عليه السلام) حتى ارتث، فاستوهبه أسماء بن خارجة الفزارية من ابن زياد كون أمّ الحسن المثنى فزارية، ومن نجى من القتل من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)، كالضحاك بن عبد الله المشرقي الذي جعله الإمام الحسين (عليه السلام) في حل من الانصراف فانصرف في حادثة مروية، وعقبة بن سمعان مولى الرباب وكان ممن صحب الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكة، ومنها إلى العراق، ووقع في الأسر فأطلق كونه مولى، وهو الذي قال كما جاء في "تاريخ الطبري": "صحبنا حسينا فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها، ألا وإنا ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: (دعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس)، والموقع بن ثمامة الصيداوي الذي كان قد أُسر فاستأمنه قومه فنفاه ابن زياد إلى الزارة.

شهود عيان كانوا في معسكر عمر بن سعد، كحميد بن مسلم الأزدي، كعب بن جابر، عبد الله بن عمار بن عبد يغوث، هلال بن نافع، وهاني بن ثابت الحضرمي، ممن يساعد منهج البحث التاريخي الذي يختلف عن منهج البحث الفقهي الذي يشتهر فيه مبنى الاعتماد على حديث الثقة، فهو أي البحث التاريخي يشبه في هذا الصدد منهج البحث الجنائي في تتبع القرائن والمؤشرات والاستفادة منها...

وقد شغلت مادة أحداث الطف وتداعياتها منذ عصر وقوعها مساحة ملفتة في حركة التدوين الإسلامي رغم محاولات الخنق والتعتيم الأموي وما بعده، من خلال ما عرف تاريخياً بكتب "المقاتل"، صدر منها منذ فاجعة كربلاء إلى عصر الناس هذا حشود، من الأقدم منها: مقتل لأبي القاسم الأصمغ بن نباتة المجاشعي التميمي الحنظلي (توفي بعد العام المائة من الهجرة) وهو من خاصة أمير المؤمنين (عليه السلام) وشرطة الخميس، ومقتل لجابر الجعفي (توفي عام 128هـ على أحد الأقوال)، مقتل لأبي مخنف الأزدي (توفي عام 157هـ)، مقتل لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ولد حوالي 110 وتوفي عام 204 هـ)، مقتل لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق النهاوندي الأحمري الذي سمع منه القاسم بن محمد الهمداني عام 249 هـ، مقتل لأبي إسحاق إبراهيم الثقفي (توفي 283 هـ) صاحب كتاب المعرفة، مقتل لأبي جعفر محمد الأشعري

المعروف بدبة شبيب (قيل بأنه توفي عام 290 هـ)، مقتل للإخباري الشهير بابتن واضح صاحب تاريخ اليعقوبي (ت. بعد 292 أو 294)، مقتل لمحمد العلابي (توفي عام 298 هـ)، مقتل لسلمة الأزدورقاني (يروى عنه أحمد بن إدريس المتوفى عام 306 هـ)، مقتل لعبد العزيز بن يحيى الجلودي (توفي عام 332 هـ)، وكثير من المقاتل المتلاحقة التي كان منها لأكابر من الأعلام كابن طاووس والشيخ الطوسي... ومنهم احسائيون كالمرجع الراحل الشيخ محمد بن حسين بوخمسين ومقتله كبير في مجلدين، ذكره لصاحب "الذريعة" كما ذكر المرجع الراحل السيد ناصر السلطان الموسوي.

كما اشتملت على كثير من أحداث تلك الواقعة كتب كثيرة للخاصة والعامه في مجالات مختلفة، ككتب في التفسير والحديث والرجال والتراجم والتاريخ وغيرها، وهي كثيرة يطول سردها فيها من المعتبر الكثير، رغم ما طال الكتب المعنية بمثل هذه الواقعة بل بما يتعلق بأهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم عموماً من حروب وكوارث وإحراق عبر التاريخ، وما إحراق الأيوبيين لمكتبات الفاطميين الكبرى التي اشتملت على نفائس من الأصول المخطوطة وما ناطرها أيام السلاجقة كإحراق مكتبة الشيخ الطوسي في بغداد بما اشتملت عليه من أصول ونفائس مخطوطة إلا أمثلة، الأمر الذي ربما تحسست أثره في تعاطي أساطين مع روايات مصادر تالية لتلك الكوارث عدت متأخرة نسبياً، مما يؤهل مادة تلك القضية الكبرى في الجملة لتجاوز مقاربات تنطوي على نحو ابتذال، مهما نبلت غايتها من معالجة عدم تثبت أو وضع، فليس الشأن العلمي مما يعاطى بردود فعل، بل إن من تداعيات ردود الفعل في هذا الشأن ما لا يقل ضرراً عما تصدى لعلاجه.

ولست أريد بما قدمت تجاوز ما يفترض، من مثل نبذ ما قام دليل قطعي على مخالفته للكتاب وقطعي السنة وضروري العقل أو العقائد الأصلية اليقينية، أو قام دليل قطعي على وضعه بدراية أهل الاختصاص من هذا التراث، بل ملاحظة أمور منها:

تحسس قيمة هذا التراث كتراث علمي على الأقل، بقدر التحسس مما قام الدليل القطعي على وضعه، لكيلا يبتذل تراثنا فلا يبقى منه حجر على حجر، ولكيلا يوقع فيما يتعلق بما روي عن أهل أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من ذلك التراث فيما نهت عنه مثل صحيحتي الحذاء وأبي بصير عن الإمام الباقر (عليه السلام) من النهي عن رد ما روي عنهم من حديث بحج لا ترقى إلى علم، الأمر الذي خرج بالدليل ما قام دليل قطعي على مخالفته للكتاب الكريم وقطعي السنة وضروري العقل أو العقائد الأصلية اليقينية، أو قام الدليل على وضعه أو صدوره عنهم في حال تقية لم يكن معه كاشفاً عن الحكم الواقعي...

وملاحظة أن المعتمد في الإثبات من ذلك التراث هو الوثوق العقلاني، ووسائله تحصيله كثيرة، منها:

النقل القطعي كالمتواترات، والأخبار المعتبرة سندًا أو دلالةً، بل وحتى غيرها من الأخبار التي لم تشمل على شروط الاعتبار إذا حفت بقرائن وشواهد الصدق السالمة من موانع القبول فضلا عن الآثار الحسية، فليس كل خبر غير جامع لأركان الحجية والاعتبار من ضعيف أو مرسل موضوعا، ورب خبر ضعيف حف بقرينة قطعية مثبتة أمكن الإفادة منه بالتبين عبر جمع القرائن والشواهد، بل رب خبر ضعيف انضمت إليه أخبار ضعاف أخرى شكل مجموعها تواترا له.

أما حديث الدراية بالتراث النصي الشريف لدى أهل الاختصاص به فذو شؤون طويلة وشجون، وباختصار يمكن القول: إن لهذا التراث شأن لدى قامات الاختصاص فيه، يجعل مثل أحدهم حال معالجته رواية أو دراية كحال الجراح الخبير والمشروط في يده ومريضه بين يديه، أتراه يعمل ذلك المشروط كيف ما كان، أم تراه يمارس ذلك وهمه الإعلام؟!

[لتحميل البحث كاملا اضغط هنا](#)